ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

The intentionality of dialogic inclusion in the novel (East of the Mediterranean) by Abdel Rahman Munif, a semantic and pragmatic study

Rese. Ismail Mohammed Ali

Assis. Prof. Nyan Othman Sharif

University of Sulaymaniyah - College of Languages

Email:
nian.sharif@univsul.edu.iq
ismaeel.aziz@univsul.edu.iq

Keywords:

Cooperative principle, Conversational implication, Implied meaning, Intentionality

Article info

Article history:

Received 2.Nov.2024

Accepted 3.Dec.2024

Published 25.May.2025

A B S T R A C T

Pragmatics in its various aspects has witnessed many studies by researchers, some of which are concerned with discourse analysis, and some of which are interested in clarifying the intentions in light of what the speaker says based on the inferential process, which seeks to reach the meaning through the context in which the speech event was accomplished. Conversational implication is one of the most important of these pragmatic aspects, which is concerned with studying discourse and seeks to reveal implicit connotations and analyze meaning in the context of its use. Conversational implication contributes to clarifying the intention of texts, and it also plays an important role in interpreting sentences according to different contexts and circumstances.There is no doubt that there are many factors and components that control the determination of meanings between the interlocutors, Such as customs, Beliefs, Shared knowledge, And so on, which enables the addressee to reach the implicit conversational meaning in what the speaker says.

In addition, the concept of implication is not taken into account in communication except in cases where it is impossible to take the direct literal meaning, considering that the speaker is violating one of the rules of the principle of cooperation represented in the rule of quantity, Quality, Suitability, and Method. Then the benefit in the speech moves from its apparent to an implicit aspect.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol59.Iss2.4165

قَصدِيَّة التَّضمين الحِواريّ في رواية (شرق المتوسط) لعبدالرحمن منيف– دراسة دلاليَّة تداوليَّة–

الباحث: إسماعيل محمد علي أ.م.د. نيان عثمان شريف
جامعة السليمانية – كلية اللغات

المُلخص:

لقد شَهِدَت التّداوليّة بمختلف جوانبها العديد من الدّراسات مِن قِبَل الباحثين، مِنها ما اعتنى بتحليل الخطاب، ومنها ما اهتّم ببيان المقاصد في ظلّ ما يقوله المتكلّم استنادًا إلى العمليّة الاستدلاليّة، الّتي تسعى للوصول إلى المعنى عن طريق السيّاق الذي أنجز فيه الحدث الكلامي. ويُعدّ التَّضمين الحِواريّ مِن أهم هذه الجوانب التّداوليّة الّذي يُعنى بدراسة الخطاب ويسعى إلى الكشف عن الدّلالات الضمنيّة وتحليل المعنى في سياق استعماله. ويَسهم التّضمين الحواريُّ في استجلاء القصديّة من النّصوص، كما له دور مُهمٌّ في تفسير الجُمَل وَفقا للسياقات والظّروف المُختلفة.

ومما شكّ فيه، أنَّ هناك العديد من العوامل والمقومات الّتي تتحكم في تحديد المدلولات بين المتحاورين، مِن قَبيل العادات والمعتقدات والمعارف المشتركة، وما إلى ذلك ممّا يساعد المتلقي مِن الوصول إلى الضمنيّ حواريا فيما يقوله المتكلّم. فضلاً عن أنّ العمل بِمفهوم التّضمين لا يؤخذ به في التّواصل إلّا في الحالات الّتي يتعذر فيها الأخذ بالمعنى الحرفي المباشر، على أساس أنَّ المتكلِّم خارقٌ لإحدى قواعد مبدأ التَّعاون المتمثلة في قاعدة الكمّ، والكيف، والملاءمة، والطّريقة. وحينئذٍ، تنتقل الإفادة في الخطاب من ظاهره إلى وجهه الضمنيّ.

الكلمات المفتاحيّة: مبدأ التّعاون ، التَّضمين الحِواري ، المعنى المُتضَمّن ، القَصديَّة.

المقدمة:

إنّ مدار البحث هو التَّضمين الحواري الّذي يخرج منه الملفوظ الإنجازي من دلالته المباشرة إلى دلالة ضمنيَّة غير مباشرة، اقتضاها المقام والسِّياق ومُراعاة قواعد الخطاب كما عند بول غرايس (Paul Grice) (١٩١٣– ١٩٨٨). وقد عرّف غرايس مفهوم التّضمين لأول مرّة سنة (١٩٧٥م) لمعالجة مشكلات المعاني الّتي لم تُعالجها نظريّة الدِّلالة. واستُعمل التّضمين الحواري للتفكير فيما قصده المتكلِّم مخالفًا لما عبَّره لفظيًّا. يسعى هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة التَّضمين الحواري بوصفها محورًا هامّا من محاور اللِّسانيّات التّداوليَّة. تنصّ نظريّة التّضمين الحواري عند غرايس على أنّ التَّواصل الكلامي محكوم بمبدأ أطلق عليه مبدأ التّعاون (cooperative of principle)، يعدُّ مبدأ التعاون واحدًا من أهم أسس التضمين الحواري. ويَهدف هذا البحثُ إلى دراسة أثر التّضمين الحواري في محاولة فهم الخطاب السّردي وإدراك المقاصد فيه، مِن خلال تطبيق مبدأ التّعاون على نصوص مختارة مِن روايّة (شرق المتوسط) لعبدالرحمن منيف.

وقد قُسِّم البحثُ على مبحثين، فضلاً عن مقدمة وخاتمة. خُصِّصَ المبحثُ الأول لدراسة قاعدتين متعلقتين بالنّصوص، هما قاعدَتَا الكَمّ والكيف. أما المبحث الثاني فتناول قاعدتين متعلقتين بمُنتجي النّصوص، هما قاعدَتَا المُلاءمة والطّريقة مع تطبيقهم على نماذج مختارة من روايّة (شرق المتوسط)، وإبراز أثر خرق تلك القواعد في وصول المتلقّى إلى المعاني المُتضمّنة وفي بيان القصديّة من النّصوص، وذلك من خلال المنهج التّحليلي التّداوليّ.

المبحث الأول:

خرق قاعدتَي الكَمّ والكَيف:

الكلام كثيرًا ما يَخرج على مقتضى الظّاهر، وهذا الخروج يُمثّل مقاصد جديدة غير مصرّح بها من قِبَل المتكلّم، وتتجسد في معاني متضمّنة حِواريًّا. ويُعدُّ التّواصل الضّمني أو التّضمين الحِواري أهمّ ظاهرة تداوليّة يستخدمها الكُتّاب السّياسيين. لاسيَّما في مَجال الرِوايَّة السّياسيَّة في قالب ممزوج بالسُخريَّة والاستهزاء أو الدَّحض للواقع السيّاسيّ، بهدف إيصال أفكارهم وآرائهم بطريقة غير صريحة وغير مباشرة. وذلك لأنَّ السّلطات والحكومات، لا تسمح بالتَّعبير عن تلك الأفكار والآراء بصورة مباشرة، كونها تَحمل نوعًا مِن التَّحريض والتَّمرّد للقُرّاء. وبما أنَّ رِوايّة (شرق المتوسط) لعبدالرحمن منيف لا تخلو من آليات التَّضمين الحِواري، لهذا قام الباحث في هذا المبحث بِتحليل بعض النّماذج النَّصيّة من الرّواية في ضوء مفهوم التَّضمين الحِواري. وقد استخدم عبدالرحمن منيف في مواضِع من روايته أسلوبَ خروج الكلام عن دِلالته الأصليّة إلى دِلالات أُخر تضمينيَّة، يُفرضها السِّياق وواقع الحال والظّروف المحيطة بطَرَفَي الخطاب، وذلك من خلال خرق قواعد مبدأ التّعاون، فَمنها:

أولاً: خرق قاعدة الكَم (Violation of the Maxim of quantity):

تُمَهّدُ هذه القاعدةُ إلى أن يُقدِّم المتكلمُ القدر المطلوب من المعلومات، لا أكثر ولا أقل، كما عُرِّفت في الموروث العربي مقولة (خير الكلام ما قلَّ وما دلَّ). وتُعنى قاعدة (الكمّ) بمقدار المعلومات وكمّها، لا بصدقها أو ملاءمتها. والقصدُ من وضع هذه القاعدة أن لا يزيد ولا ينقص المتحاورون مِن مقدار الفائدة المطلوبة، وتتفرّع القاعدةُ بدورها إلى:

أ- لِتكُن إفادتك للمخاطَب على قدر حاجته.

ب- لا تجعل إفادتك تتجاوز حدّ المطلوب. (أدراوي،٢٠١١:٩٩)

وبالعودة إلى روايّة (شرق المتوسط) لعبدالرحمن منيف، لقد أشار الكاتبُ إلى سَفَر بطله (رجب) إلى خارج بلده، بل إلى خارج (شرق الأوسط)، طلبًا للعلاج على حَدِّ قوله بعد أن أُطلق صراحُه. يقول الكاتبُ في الحِوار الّذي دار بَين (رجب) واللّجنة الطّبيّة الّتي جاءت لِفحصه وعلاجه في بَلَدٍ غَربي:

(كان يوم ٧ كانون الثّاني، استقبلَني ثلاثة أطِّباء. امرأة ورجلان....

- سألوني عن ماضيّ: حَدِّثنا عن ماضيكَ.

- الشّيء المهم الّذي لم أقله بعد، والّذي قد يُفسّر مرضي، هو إنّي كنت سجيناً.

سألني الطّبيب المُسنّ: هل تشرح لنا ظروف سجنك؟ أقصد كيف كان السّجنُ، ضِمن أيّة شروط تغذية، وأيّة شروط صحيّة؟

- الشروط الصحيّة والتّغذية! سُخريّة أم تساؤل؟

في الصُّمت النّظيف المخيم على الجّدران والملاءمة والزجّاج، جاءني صوت الطّبيب الشّاب: هل استطيع أن اسأل لماذا كنتَ سجيناً؟

قُلتُ وأنا أسحب نظري من الطّبيب الشّاب، وانظر إلى الطّبيب المُسن: كنتُ سجيناً سياسيّاً. ولم أضف أيّة كلمة. نَظَرَ الطّبيب المُسنّ إلى الوجوه بأسى، وقال يُخاطب نفسَه: هذا واحدٌ من شعب سجين) (منيف،٢٠٢٢:٢٠٩-٢١٣).

التّضمين الحِواري:

ما يُلاحَظ في هذا الحوار خرقُ قاعدة (الكم) مِن قِبَل (رجب) في أغلب إجاباته، حين يُسئَّل عن ماضيه وعن ظروف سجنه وسبب حَبسِهِ. حيثُ سألته اللَّجنة الطّبيّة عن ماضيه **(حدّثنا عن ماضيك)**، فاختصر (رجب) حديثَه عن ماضيه في كلمتين وأجاب: **(كنتُ سجينًا)**. دون أن يُعطي معلومات كافيَّة تُوضّح فيها علاقة السّجن بمرضه أو بِسبب وجوده أمام اللَّجنة، أو أيَّة تفاصيل أُخرى تُساعد الأطبّاء في فهم حالته وما جرى عليه في الماضي. إذا أُخِذَ هذا الجَّوابُ حرفيّاً، فلا يوافق سؤال اللَّجنة، بل يُخالف قاعدتَي (الكَم) و(المُلاءمة) أيضًا. وعلى الرّغم من ذلك، لا يجوز الحُكم بأنّ (رجب) لم يُبالِ في جوابه بما سألوه، ولكن قد خَرقَ قاعدة أو قاعدتين من مبدأ التَّعاون، ولا بُدَّ من إيجاد علاقة بين (السّجن) و(الحالة الصّحيَّة) التي فيها المتكلم، وستُبيّن هذه العَلاقة ضمن الحديث عن المعنى المتضمّن، وذلك لأنَّ عمليَّة التَّخاطُب ليست عمليَّة عشوائيَّة، بل عمليّة خاضعة لجُملة مِن المبادئ والقواعد الحِواريَّة تهدف إلى تفعيل عمليَّة التَّواصل مِن أجل إيصال الفائدة المَرجُوّة من الحوار(درنوني ومرداسي، ٢٠٢١:٢٥٨).

وحين سأل الطَّبيبُ المُسنُّ (رجب) بقوله: **(هل تَشرح لَنا ظروف سجنك؟ كيف كان السّجن، ضِمن أيّة شروط تغذية، وأيّة شروط صحيّة؟)** أجابه: **(الشروط الصحيّة والتّغذية! سُخريّة أم تساؤل؟)**. إنَّ الكلمات الّتي وردت في هذه الإجابة ليست بقدر الكافي لِبَيان ظروف السّجن بصورة جَيِّدة ودقيقة. فهو بذلك قد أخلَّ بقاعدة (الكم)، على أساس أنَّه لم يُقدّم المعلومات اللاّزمة، وأنّ طريقتَه غير واضحة أيَضًا، حيث أجاب على السّؤال بصيغة ممزوجة بالتّعجُّب والسُّخريّة **(الشروط الصحيّة والتغذيّة!)** وبطرح سؤال آخر مُتمثّل في قوله: **(سُخريّة أم تساؤل؟)**. وبما أنَّ الإخلال لا يمكن إرجاعه إلى القصور في المعرفة، بل تَعمَّد (رجب) بِتَجَنُّبِهِ عن التَّصريح بالإفادة المطلوبة، رُبما خوفًا من الإحراج، أو حِفاظًا على مزاج أعضاء اللَّجنة وذوقهم الأوروبي غير معتاد على الحديث عن تفاصيل العُنف والتَّعذيب الجسدي الذي يُمارَس في سجون السُّلطات الاستبداديَّة. إذن، على المتلقّي أن يبذل جهوده ويقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليَّات الذِّهنيَّة بناءًا على ما يسمعه مِن الكلام من أجل استكشاف المعنى المُتَضمِّن كي يصلَ إلى قصد المتكلّم (خضير،٢٠١٦:١٥٩).

وحين سألَ الطبيبُ الشّابُ (رجب): **(هل استطيع أن أسأل لماذا كنتَ سجينًا؟)** فأجابه: **(كنتُ سجينًا سياسيًّا)**. على الرغم من أنَّ الجَّوابَ يتكوَّن من ثلاث كلمات، ولكن السّائل قد حصل على كلمة واحدة ذات قِيمَة خَبريَّة جديدة مِن جواب متلقيه، وهي كلمة **(السيّاسي)**، أي، اختصر الجواب في كلمة واحدة إنَّهُ **(سياسيٌ)**. وأرادَ المتكلّمُ أن يُبلّغ قصدَه للمتلقي بصورة غير صريحة مُوظِّفاً طريقة بيانيّة تُعرف باسم (التَّعريض أو التلويح)، لأنَّ المعنى فيها لا يُفهم من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنما يُفهم من جهة التَّلويح والإشارة (عتيق،١٩٨٥:٢٢٢).

وأراد المتكلّمُ أيضاً أن يُعبّر عن الدِّلالة الخَفِيَّة في كلامه **(السَّجين السيّاسي)**، أو ما يُسمّى بالدَّلالة غير الطَّبيعيَّة، والتّي قد عرَّفها غرايس بقوله " إن القائل قصد شيئًا ما من خلال جُملة معيّنة، فذلك يعني أن القائل كان ينوي وهو يتلفّظ بهذه الجُملة إيقاع التأثير في مُخاطَبه بفضل فهم هذا المخاطَب لنيته"(روبول وموشلار،٢٠٠٣:٥٣).

وكذلك يُلاحظ في قول الطَّبيب **(هذا واحد من شعب سجين)**، خرقٌ لقاعدتي الكمّ والطّريقة أيضًا من مبدأ التعاون. حيثُ إنَّ الأسلوب الّذي لا يُفهم من جهة الحرفيّ الظّاهر دون التَّأويل، ويحتاج إلى قرائن الحال والسيّاق، يندرج تحت انتهاك مبدأ (التعاون). لأنَّه لا يُعقل أن يكون هناك شعبٌ مسجون بالكامل بمعنى المُتعارف عليه لكلمة **(سجين)**. إذن، لابُدّ من وجود علاقة بين المنطوق (**شعب سجين)** والمقصود، والّتي يعنى بها التَّضمين الحواري وستُكتشف في عرض المعنى المُتضمِّن.

المعنى المُتَضمّن:

- الشيء المهم الّذي لم أقله بعد، والّذي قد يُفسّر مرضي، هو إني كنت سجيناً.

- الشروط الصحيّة والتّغذية! سُخريّة أم تساؤل؟

- كنتُ سجينًا سياسيًّا.

- هذا واحد من شعب سجين.

قد يلجأُ المتكلّمُ أحيانًا إلى صيّاغة كلامه بطريقة غير مباشرة. فيُجبر السّامعُ على التّفكير عن الدّلالات المُتضمّنة في الأقوال، وذلك عن طريق عمليّات استنتاجيَّة يتحكم فيها السّياق (عطيل،٢٠١٩:٣١). وهذه الدّلالات المُستَنتَجة قد تتعدّى الصّورة الحرفيّة للكلام. وإذا ما ربطنا النّصوص الواردة في الحوار المذكور آنفاً بقواعد غرايس في مبدأ التعاون، نجد أنّ المعلومات كانت موجزة جدًّا ومشحونة بكتلة تعبيريّة كثيفة وعميقة، نابعة من نفسيّة مُتعَبَة من جَور السّلطات في شرق المتوسط. والمعلومات الموجزة لها دلالات مُضمرة وخَفيّة، تتضمن ما يأتي:

أولاً: أنَّ السّجن هو سبب مرضي، أي مرض البطل (رجب). وما تَرونَ من سوء الحالة الصّحيَّة أو الهلاك الجّسدي والنّفسي كُلها تُفسِّر ماضيَّ المرير الذي قضيتُه في السِّجن. وما يربط بين المرض والماضي هو السّجن فقط.

ثانيّاً: ما يتعلق بالإجابة المُتمثلة في القول: **(الشروط الصحيّة والتّغذية! سُخريّة أم تساؤل؟)** وتكرار الجُملة بصيغة التّعجُّب، يتضمَّن عدم وجود أيّة شروط صحيّة وتغذيّة في السّجن الّذي كان فيه (رجب)، وكذلك الاستفهام يقصد به الإنكار، أي لا توجد في السّجن أيّة مراعاة لحقوق الإنسان، لا في نظام التغذيّة ولا في العناية بصّحة السُّجناء. المعنى المُنجَز الظّاهر للكلام هو الاستفهام، أمّا المعنى المتضمّن للقول إنكار لوجود أي معيار الذي قد يندرج تحت معايير حقوق الإنسان ومِن ضِمنها الشروط الصحيّة والتغذيّة السّليمة للسجناء. يُطلق على هذا الجّواب الّذي جاء على صيغة مُنذَمَجة بالتَّعجُّب والاستفهام والسُّخريّة التَّباعُد، وهو يُستخدم لبيان المفارقة بين المعنى الحقيقي للقول وما هو موجود في الواقع، وهذا النمط من القول يأتي في كثير من الأحيان في رفض شيء مُعيّن أو عدم تبنّيه (خضير،٢٠١٦:١٦٥).

ثالثاً: فإنّ السِّياقَ في إجابة السّؤال المتمثل في **(لماذا كنتَ سجينًا؟)**، سياقٌ لا يُساعد على تفسير الألفاظ حرفيّاً، لكون السائل بانتظار ذِكر جريمة أو عمل غير قانوني الذي يرتكبه شخصٌ ما ويُسجن عليه حِفاظا على العدل، ولكن أجاب (رجب) إنّه كان سجينًا سياسيًّا، فعدَل معنى الكلام إلى التّضمين، وهو أن العمل في السيّاسة يُعدُّ ضِمن الجرائم ويُعاقَب عليه في بلده، لأنه مُنحصر لأصحاب السّلطة فقط، لا يُسمح للجميع أن يتدخل في السيّاسة، وإلّا سيُسجن و يُطلق عليه **(السجين السيّاسي)**، كأنّ السّياسة خط أحمر يجب أن لا يتقرب منه أي مواطن أو أي شخص خارج الأنظمة الحاكمة.

رابعاً: إنَّ مشاعر الضَّيق والتّشاؤم واضحة في قول الطَّبيب: **(هذا واحد من شعب سجين)** ولكن مما حوَّلت دِلالة القول مِن الدِّلالة الحرفيّة إلى الدِّلالة التّضمينيّة، هو تعجيز المتلقي عن استيعاب تفسير الألفاظ بصورتها الحرفيَّة، فلا تستطيع أيّة سُلطة أو حكومة أن تحبس شعبَها بالكامل حبسًا حقيقيًا داخل زنزانة السّجن، إذن يَتضمّن من قول الطَّبيب أنَّ الشّخص الذي سُلِب منه الحُريّة في التَّعبير عن الرّأي والفكر والاعتقاد، ومُنع من العمل في السيّاسة ومن الانتقادات السيّاسيّة، وراقبت سُلطة استبداديّة نشاطاته وحركاته وأقواله، فَهو شخصٌ سجينٌ على الرغم من أنَّه خارج جدران مبنى السّجن. بناءً على ما أشار إليه (رجب) في حِواره، أحسّ الطّبيبُ بظروف الشّعب وقال أنّ هذا الشّعب الّذي ينتمي إليه هذا الشّخص (رجب) شعبٌ سجين تحت ظلم السّلطة التي تعتقلُ الإنسانَ وتُعَذِّبُه بسبب الآراء السيّاسية.

القصديّة:

إنَّ الدِّلالة بِنَوعَيها الظّاهريّة والتَّضمينيَّة تُساعدان المتلقّي في وصوله إلى القصديّة. وتُشيرُ القصديَّة إلى المعنى الكامن وراء النّصوص، وهي هدفُ صاحب النّص غير المعلَن، الّذي يسعى مُنتِج النّص إلى خلق عالمٍ خاصّ في ذهن متلقّيه، وذلك عن طريق سيّاق لغوي ومعرفيّ. وأعطى غرايسُ القصدَ مكانة مِحوريّة في تفسير المعنى، وهو يعدُّ أنّ كلّ حدث سواء أكان لغويّاً أم غير لغوي يحمل دلالةً وراءها قصدٌ، لِأنّ مُنتِج الخطاب يخفي مقاصده، ليقوم المتلقّي بتأويلها وفق استراتيجيَّة خاصّة تصل إلى القصد (مرزوقي وفضيلة، ٢٠١٩: ١٧٠-١٧١).

تُعنى نظريّة التّخاطب بتحليل النّص في ضوء قصديّة صاحب النّص، وتهتّم بدراسة الاستراتيجيّة الّتي تُساعد المتكلِّم أو المؤلِّف في توصيل مقاصده إلى متلقِّيه. إذن، إنّ لمنتج النّص " إلى جانب مقاصده التّواصليّة الموضعيّة مقصدًا إجماليًّا، يُدرَك مِن خلال مجموع بُنى الخطاب" (روبول وموشلار، ٢٠٠٣ :٢٠٦).

بما أنَّ العمل الأدبي يقوم على ثلاثة عناصر، مُنتِج النّص، والنّص نفسه، والقارئ أو المتلقّي. فالقصديّة عامل مشترك بين هذه الأقطاب الثلاثة، وتحديدها عمليّة مُعقدّة، تستوعب داخلها نوايا المؤلِّف وفاعليّة المتلقّي وجدليّة النّص. فلذلك دارس القصديّة يكون أمام ثلاث قصديّات " قصديّة الكاتب وقصديّة النص وقصديّة المتلقي أو القارئ (بازي،٢٠١٠:٦٠). بما أنّ المؤلِّف هو الموجّه للنّص الذي يؤدّي من خلاله وظيفة إقناعيّة قصد التأثير في المتلقّي ودفعه إلى الاقتناع بما يقصده، فالكاتب (عبدالرحمن منيف) لَم يكتب نصّه وفق منزلقات دلاليّة عشوائيّة، وإنَّما قد نسّجَ نصوصه وفق معطيات دلاليّة مُحدّدة، تمنح النّص الثراءُ الدّلاليّ يصل المتلقّي من خلاله إلى المقاصد الكامنة وراء الألفاظ، ثم يصل إلى المقصد الكلّي من النّص. يقصد الكاتب (عبدالرحمن منيف) من الحوار المذكور ما يأتي: وجود سُجناء بِسبب آراء وأفكار سياسيّة مُختلفة. وأنّ السّلطة هي سلطة استبداديّة في الشّرق. والقصدُ من قول الطّبيب المُسنّ، تصوير الشّعب العربي الخاضع الذليل ومسلوب الإرادة. ويريد الكاتبُ إظهار وحشيّة الأنظمة الحاكمة، ومُعاملَتِهم اللّاإنسانيّة في شّرق المتوسط سواءً داخل السّجون أم خارجها. وكذلك من المقاصد التي يريدُ الكاتبُ إيصالها تصوير الإنسان الشّرقي على أنّه غير معتاد على حُسن المعاملة في السّجون، كما يريد تصوير الإنسان الغربي على أنه معتاد على نمط حياة سليم وصحّي حتّى داخل السّجون، كونهم يسألون عن نظام التغذية والصّحة داخل السّجن.

وعُرفت القصديّة بأنّها ليست ما يعلنه الكاتب بصورة صريحة أو ضمنيّة، وإنَّما ما يقصد من خلال استعماله للكلمات (بازي،٢٠١٠:٥٢). في عمليّة استكشاف واستخراج قصديّة النّص، يواجه المتلقّي نوعين من القصديّة، القصد الكُلّي والمقاصد الجُزئيّة الّتي تُكوِّن القصد الكلّي للنصّ، وتتجلّى القصديّة في المعنى الكُلّي للنصّ، لأنَّ " المعنى الكلّي للنص

أكبر من مجموع المعاني الجزئيّة للمتواليات الجُمَليّة الّتي تُكوّنه، فالنّصّ ينتج معناه إذن بحركة جدليّة أو تفاعل مستمر بين أجزائه" (بحيري،١٩٩٧:٧٥). ما ذُكّر آنفاً كانت من المقاصد الجزئيّة الّتي تُساهم في تكوين القصد الكلّي للنّص، الّذي يتجلى في بيان الجّو المأساوي الّذي صَوَّرَه الحوارُ، والذي يُعبّر عن الحال التي تمرّ بها الدّول الشرقيّة، مِن الحِجر على الأفكار ومصادرة الحُريّات، والسّجون البوليسية لكل مَن خالف الأنظمة، وسكوت العالم عن دّس حقوق الإنسان الشّرقي وكَرامته. وَيُعدُّ القصد الكُلّي للنص صرخةً عن خرق جميع القوانين الدَّوليَّة والمواد المُتفَق عليها بخصوص حقوق الإنسان.

ثانيّاً: خرق قاعدة الكيف (Violation of the Maxim of quality):

وهو أن لا تَقُل ما تعلم خطأه أو كذبه. تنصُّ قاعدة الكيف على أن" لا تقُل ما تعتقد أنّه غير صحيح، ولا تقُل ما ليس عندك دليل عليه" (نحلة،٢٠٠٢:٣٤).

يقول الكاتبُ في روايته على لسان بطل الرّواية (رجب) حين يخرج من السَّجن ويرجع إلى بيته ويدخل غرفته بَعد اطّلاعه على الصّورة المعلّقة على جدران الغرفة: **(نظرتُ إلى الجّدران، وتوقّفتُ عيناي على صورة الشّهادة، كانت في زاويتها اليُسرى صورتي، ذهبتُ إلى المرآة وتطلّعتُ إلى وجهي: لِمن هذا الوجه؟ وعدّتُ أتطلّع إلى الصُّورة في زاوية الشّهادة، وقلتُ في نفسي: إنَّ أحد هذين مات)** (منيف،٢٠٢٢:٢٦).

التَّضمين الحِواري:

يحملُ قول البطل **(لِمَن هذا الوجه)** خرقاً لِقاعدة (الكيف)، الّتي أساسها الصّحة في القول. وقد يُمثّل هذا القول حِوارًا داخليًّا أو ما يُصطلح عليه بـ(المونولوج)، حيث لا تُشترط مشاركة خارجيّة في الحوار، بل يُلقى مِن طرف واحد، وهو "نشاط أحاديّ المرسل في حضور مُستَمِع حقيقي أو وهمي" (علوش،١٩٨٥:٢٠٥). يُلاحَظ هنا خرقٌ واضحٌ لقاعدة (الكيف) الّتي تقتضي أن لا يقول المتكلّمُ إلّا ما يعتقده صوابًا، وأن يكون صادقًا فيما يقوله، بِغضّ النّظر عن الحالة التي هو فيها. والمتكلّم هُنا واقفٌ أمامَ صورته ويتطلّعُ عليها، ولكنّه يسأل **(لِمَن هذا الوجه)**. إذن، هو خارقٌ لقاعدة الكيف، لأنَّ الإنسان عادةً لا يسأل هذا السّؤال عن نَفسه، وقد تعمّد الكاتب اختراق هذا المبدأ، حيث ظاهر النّص يوحي بالاستفهام، كما في قوله: **(لِمَن هذا الوجه)**. والاستفهام الحقيقيّ، هو سؤال الإنسان عمّا يجهله ليعلمه، ويُنتظر له جوابًا (قلقيلة،١٩٩٢:١٦٠). والسّؤالُ هنا عن صاحب هذا الوجه الّذي في الصّورة المُعلّقة على جدران الغُرفة، مع أنّ الصّورة هي صورة المُتكلِّم نفسه، إلّا أنَّ القصدّ هنا مخالف لِما تَعنيه الكلمات، لأنَّ صيّغ الاستفهام قد تؤدّي معاني أُخرى غير السّؤال، تُفهم من خلال سياق الكلام وقرائن الأحوال (قلقيلة،١٩٩٢: ١٦٧). لذلك عَلى المتلقّي الانتقال من المعنى الظّاهريّ للقول إلى المعنى الضّمني، أي التّضمين الحِواري، الذي سيُبيّن فيما بَعد ضِمن الحديث عن المعنى المُتضمّن وقصديّة النّص.

وجاء في النّص أيضًا قول بطل الرّواية: **(إنّ أحد هذين مات)**، فإذا اعتمد السّامع على الصّيغة الحرفيّة للقول، قد يُفهم منها إعلام السّامعين بأنّ شخصًا قد مات، ألا وهو صاحب الصُّورة أو صاحب الوجه الذي يَراه المتكلّمُ في المرآة، على الرغم من أنَّ كلاهما هو المتكلّم نفسَه وهو على قيد الحياة. فالمتلقّي مضطرٌ إلى أن يبحثَ عَمّا وراء الكلام مِن معنى، ويقول لنفسه إنّ المتكلّم يُريد أن يرسِل معنىً دون المعنى الحرفي، بدليل أنّه ذَكَر في نصّهِ مُسبَقًا أنَّ الشّهادة المعلّقة شهادتُه والصّورةُ صُورتُه **(كانت في زاويّتها صورتي)**، ثمَ يسأل عن الوجه، ويقول إنّه مات، فماذا يريدُ أن يقول؟ والّذي

خرج به الكاتب عن معناه التّركيبي الملفوظ إلى معنى متضمّن الّذي خالف به (مبدأ الكيف)، فلم يكن صادقًا في كلامه، ممّا لا شكَّ فيه أنّ الشّخص المتظاهر في الصّورة والّذي يُرى في المرآة، كلاهما شخص واحد، وحيٌّ يُرزق.

وإذا تم خرق إحدى القواعد الأربع (مبدأ التّعاون) تصبح العلاقة بين المتكلّم والمتلقي معقّدة، ويتحوَّل الكلام إلى غموض ويفقد معناه الظّاهر المفهوم، ليحمل معاني أُخرى (درنوني ومرداسي،٢٠٢١:٢٦٢). ولهذا أخذنا نبحث عن دِلالات أُخرى تُفهم من سياق الكلام والمقام، والحالة النّفسيّة الّتي فيها المتكلم، والظُّروف القاسيّة الّتي عاشها مِن أذى وتعذيب واضطّهاد.

المعنى المُتضمّن:

على الرَّغم من أنَّ الكلامَ استفهامٌ في الظّاهر **(لِمَن هذا الوجه)**، لكن المتكلّم لا يبحث عن معلومة مُعيّنة. كون الاستفهام يتعلّقُ بحاجة المُتكلّم إلى معرفة ما يجهله في الواقع الخارجيّ، والمقصود من ذلك أنَّ المتكلّم يجب أن يكون جاهلاً عن الّشيء الذي هو بصدد الاستفهام عنه، لكي تتمّ عمليّة معرفة بشيء. فقد انصرف الاستفهام هنا إلى معنى آخر، واستعملَه المُتكلّم في مقامٍ غير مقامه، من أجل تبليغ مقصده للمخاطبين، ألا وهو التّعجُّب والتّحسُّر. ولا يسأل المتكلّم هنا عن صاحب الوجه أو الشَّخص الّذي يُرى في الصّورة، بَل يقصد التقرير بأنَّ شكلَه قد تغيّر كثيرًا بسبب الظّروف الّتي مرَّت عليه. ويُبالغ المتكلّم في إعجابه ودهشته عن المفارقة الّتي تُلاحظ في مظهره بين الزمنين، قَبل دخوله للسجن وبَعد خروجه منه. وإنَّ المُتكلّمَ يُريد أن يقولَ إنّ التغييرات الكثيرة التي جاءت على مظهره (وجهه) قد تؤدّي إلى عدم معرفة المتكلم على نفسه.

المعنى المتضمّن، إنّه لَم يَبقَ المظهر الوسيم والنَّفسيّة الهادِئة المستقرَّة الّتي كان يتمتع بها صاحب الصّورة في ذلك الوقت. أيّ في زمن الدِّراسة وقَبل دخوله للسيّاسة، ويقر بموت هذه الشَّخصيّة، وأنَّ الشّخص الّذي يظهر في المرآة شخصٌ مُستسلمٌ لقوَّة السُّلطة وجبروتها، وشخص خاليٌ من المبدأ والإرادة والصّبر، وشخص مُوَقّع على خروجه مُقابل تركه للنشاطات السِّياسة والمبادئ الثَّوريّة، فلذلك يعدُّ البطلُ نفسَه مَيّتًا. هذا حسب أفكار (رجب) بعد خروجه مِن السّجن، لأنه كان يلومُ نفسَه بشكل مستمرّ.

(القصديَّة):

يُعدُّ القصدُ جوهرَ العمليَّة التّواصليَّة، لذلك قيل أنَّ الأصلَ في الكلام القصدُ، فَإيصال المقاصد في العمليَّة التَّواصليّة يُجَسّد هدف الخطاب الأساس الّذي يَسعى المتكلّم إلى تحقيقه (عبدالرحمن،1998:103). فلا يقصد الكاتب بقوله **(لِمَن هذا الوجه)** الاستفهامَ أو معرفة صاحب الوجه، ولكنّه يَتوجَّع ويَتأسَّف على خُسران مظهره الجَّميل ووسامته الّتي كان يَتمتَّع بها قبل دخوله للسجن، توجّعًا وتأسّفًا. والقصديَّة التداوليّة المستجدّة مِن القول **(إنّ أحد هذين مات)**: هي أنَّ شبابَ (رجب) وجمالَه وقوَّتَه الجَّسديّة والمعنويَّة قد فات ومضى، ولا يَستطيع استرجاعه باتّاً. ويقصِد أنَّ السُّلطة السّائدة إذا أَخَذَت شخصًا لَن تَتخلَّى عنه حتَّى تَنتزعَ منه كل ما هو دليل على حيويَّة الإنسان، كالقوَّة، والمظهر، والصِّحة البدنيّة والنَّفسيّة، والنَّفسيَّة المستقرَّة، والمبادئ، والأفكار والآراء، والأحبَّة والأهل، وغيرها من مستلزمات الحياة. كما هو حال (رجب) بَعد خروجه من السَّجن فاقدًا صحَّتَه ونفسيّته وأحبّائه من الأمّ والمعشوقة والكثير من الأصدقاء الّذين ماتوا تحت ظُلم السُّلطة، وكذلك خَسِرَ الكثير مِن الأشياء المُثمنة، لذلك يعدُّ نفسه شخصًا ميتًا. هذا ما يُستنتج من قصديّة القول، بحيث لا يُكتشف القصد إلّا مِن

خِلال الخَلفيّة المعرفيّة المحدّدة سلفًا لدى المتلقّي ليولّد سياقًا إدراكيًّا يستدعي دِلالات كامنة في عمق النّصوص، أيّ "اكتشاف ما لم يقله النّص من خلال ما قاله"(أبو زيد،٢٠١٤:٣٦).

ليست كلُّ المقاصد ملفوظة في النّصوص، بل كثيرًا ما يكون القصدُ مُستترًا وراء المعاني الّتي يُعبِّر عنها النَّص. وبالعودة إلى مقاصد النّص، فإنَّ السِّياق يَلعبُ دورًا مُهمّا في الدِّراسات التّداوليَّة مِن حيث مساهمته في تحديد مقاصد الخطاب. واعتمد الكاتب في هذا الإطّار على الاستراتيجيَّة التّلميحيَّة والأسلوب غير المباشر، وذلك من خلال توظيفه للتّضمين الحِواري ليُعبّر عن مَدى شِدَّة العذاب والعنف الّذي عادةً يُمارَس في السّجون، فيؤدي إلى هلاك المعتقلين ثُمَّ يُبيِّن آثاره على وجوهِهم ومظهرهم. إذ تحاول القصديّة أن تنشئ بُعدًا دلاليًّا جديدًا يهتمّ بدواخل النّص، ولا تتّضح المقاصد إلّا مِن خلال الاعتناء بمختلف الوسائط، كالسيّاق والمستويات اللّغوية والذهنيّة التي تُساهم في تحقيق كفاءة قصديّة دلاليّة (مرزوقي وفضيلة،٢٠١٩:١٧٩).

وقد يقصد المتكلم المعنى الحرفي لقوله ويقصد منه معاني أُخَر ضمنية، وهذا يمثل الازدواجية في القصد (عبدالرحمن،١٩٩٨:١٠٦). وتعتمد القصديّة على قُدرة المتكلّم في إيصال أفكاره إلى الطّرف الآخر، حيث تَكون هذه الأفكار مختارة اختيارًا حسنًا، ومرتّبة ترتيبًا محكمًا، لتترك أثرها في المتلقّي، لذلك قد عبّر بطل الرِوايّة بكلامه عن مقاصده الّتي تُمثّل في حسرتِه على ما فقدته وفظاعة التّعذيب الذي شهده في الحبس واستنكاره للواقع المرير. ومِن المقاصد الّتي يُمكن مُلاحظتها مِن خلال القول، أنّه على الجّميع الاتّحاد والتّصدي لظاهرة القمع والعنف، وإلّا سيُخلّف ذلك آثاراً وخيمة. فالقصديّة موجودة مُسبقًا، حيث تختفي وتتوارى لتترك مجموعة شواهد جاهزة، تقود المتلقّي إلى كشفها عن طريق التّأويل، وهدفها إخصاب النّص بِدِلالاتٍ جَديدةٍ.

المبحث الثاني:

خرق قاعدتَي العَلاقة والطَّريقة:

ما يُميّز قاعدتَي العَلاقة والطّريقة عن باقي القواعد من مبدأ التّعاون، إنهما متعلقتان بالمتكلّم وبالسّياق أكثر مما تتعلقان بالنّص نفسَه. بحيثُ إن قاعدتي الكم والكيف متعلقتان بالنّص، أما العلاقة والطّريقة الّتي ستُدرسانِ في هذا المبحث فَتَخُصّان طرَفي الخطاب والسيّاق، بحيثُ على المتكلم أن يُراعي السيّاق والمقال في اختيار كلام ذي العلاقة بالموضوع وفي اختيار الطريقة المُناسِبة الّتي يُعرضُ بِها الكلام. وقد تُخرق هذه القواعد لأغراض مُختلفة، كما خرق الكاتب (مُنيف) القواعد في مواضِع مِن روايته، منها:

أولاً: خرق قاعدة العَلاقة أو المُلاءمة (Violation of the Maxim of Relevance):

تنصُّ هذه القاعدة على أن يجعلَ المتكلمُ كلامَه ذا عَلاقة بالموضوع. لِيُناسب مقاله المقام. وتحت مبدأ المُلاءمة توجد قاعدة تُشير إلى أن تكونَ المعلومة والمساهمة ملائِمة للحوار، ولا تخرج عن الموضوع، لأنّ لكلّ مقام مقال، ولكلّ حادثة حديث (مزيد، ٢٠١٠:٤٠). والهدف مِن وضع هذه القاعدة "منع المتكلّم مِن أن ينزلقَ إلى مقاصد أُخرى مخالفة لتلك الّتي استهدفها الخطاب، أي يُراعي علاقة المقال بالمقام" (أدراوي،٢٠١١: ١٠٠). ويقول الكاتبُ في روايته على لسان(أنيسة) أخت بطل الرِّواية (رجب) حين تَتَحدَّث عن طبيعة أخيها وأسلوبه مع الآخرين: **(سَألَ جارُنا ذات يوم، وكان جاراً جديداً، سأله حين زارَنا لأوّل مرّة عَن أصل العائلة، وعن عدد أفرادها وعن مصدر دخلها، وسأله حَتّى عن مساحة الأرض التي نملكها في القريّة، وما إذا نستثمرها مباشرة أو عن طريق أقاربنا، نظرَ إليه رجب نظرةً حائرة وقاسيّة،**

وسمعتُه يقول: ليَّ أُختٌ واحدة ومتزوّجة، وأنا لا أُريد أن أتزوّج في الوقت الحاضر! ... فلمّا استغرب الرّجل، وبدت على وجهه علامات التّساؤل والحيرة.)(منيف، ٢٠٢٢:٩٧).

التّضمين الحِواري:

إنَّ الهدف مِن مُراعات قاعدة المناسَبة أو الملاءَمة وعدم خرقها هو ضبطَ مسار الحوار، وهو السّبيل الكفيل الذي يجعل المتكلّم أن يُبلّغ مقاصده. وعدم احترام هذه القاعدة يؤدّي إلى اختلال العمليّة الحِواريّة. وفي هذه الحالة على المحاور أن ينقل كلام متلقيه من معناه الظّاهر إلى المعنى المتضمّن الّذي يقتضه المقام. وهو ما يُعالجه مفهوم (التّضمين الحِواري) (أدراوي،٢٠١١ :١٠٠). فالمتكلّم يسأل عن أصل العائلة وعدد أفرادها ومصدر دخلها، ويسأل أيضا عن مساحة الأرض الّتي تملكها ومَن يستثمرها. والملاحظ أنّ إجابة مُحاوره (رجب) بمعناها الحرفي غير ملائمة لسؤال الجّار ولا تُحقق جَوابًا له، بحيث يُشير إلى أُختِه الوحيدة بأنَّها متزوّجة، وعن نّفسه بأنَّه لا يُريد أن يتزوّج حاليًّا. والّذي عمِل على إخراج العبارة من باب التّصريح إلى باب التّضمين هو عدم التّناسب والتّقارب والتّلاؤم بين سؤال الجّار الجديد وإجابة (رجب)، وهو ما سمّاه غرايس بـ(خرق قاعدة العَلاقة والملاءمة) التي تُمثّلها قاعدة عامة وحيدة، وهي (قل ما له صِلة بالموضوع). أمّا ما قاله (رجب) لم يُطابق السّؤال، وليس لَهُ صِلة بالموضوع، فبذلك خَرَقَ مبدأ (المُلاءمة)، فكلامه خارج موضوع الحوار، ولكن المتلقي يتبادر إلى ذهنه ما هي العلاقة الممكنة بين السّؤال والجّواب على هذه الشاكلة. إذن، يُريدُ المتكلّم غرضًا آخر تدل عليه قرائن الأحوال ويدُّل عليه السّياق أيضًا، ويُشير إلى أنّ المعنى المقصود هنا هو المعنى المُتضمّن وليس المعنى الظّاهري.

المعنى المُتَضمّن:

إنّ فهم الكلام لا يعتمد على الكَفاءة اللّغويّة والمعرفة بقواعد اللُّغة فقط، بل يستوجب على المتلقّي أن يمتلك كفاءة اتّصاليّة، ممّا يعني أنّ "القُدرة التّواصليّة هي القُدرة الإنسانيّة الشّاملة على فهم الموقف الاتّصالي بين أطراف الاتصال في إطار عوامل أخرى، كالزّمان والمكان والعلاقات الاجتماعيّة، والعلاقات الخاصّة بين أطراف الاتصال" (العبد،٢٠١٤:٤٠).

إنَّ القُوّة الإنجازيّة الظّاهرة في القول: **(ليَّ أُختٌ واحدة ومتزوّجة، وأنا لا أُريد أن أتزوّج في الوقت الحاضر)** حَمِلَت معنى التّقرير عن الحالة الاجتماعية للمتكلّم ولأخته، والبوح بعدم رغبته في الزّواج، حيث قدّم المتكلّم في حواره مُساهمة خارج موضوع الحوار، فجوابه لا يتعلق بسؤال السّائل، في حين يُفترض أن تكون في جوابه المعلومات الضّروريّة عن أصل العائلة دون زيادة أو نقصان، وعن مصدر دخلها ومساحة الأرض الّتي تملكها في القريّة، وعدد أفراد العائلة وما إلى ذلك. كان بإمكانه أن يقول: إن عدد أفراد العائلة كذا، ودخلها هذا المقدار الشهري، ولديها هكذا قدر من الأرض في القريّة وتُستثمر عن طريق العائلة مباشرة أو عن طريق الأقارب. ولكن لا توجد في جواب (رجب) أيّة معلومة من تلك المعلومات المذكورة التي كان السّائل بصددها. بَل إنّه يحمل في طيّات جوابه دلالات مُتضمّنة تتمثَّل في مشاعر الرّفض والإنكار والتَّوبيخ للمتكلم، وفيه أيضًا تبليغ السّائل بعدم استقبال المتلقّي تلك الأسئلة الّتي تخصّ الشّؤون الدّاخلية للعائلة وعدم رغبته بالبوح بها، حِفاظًا على خصوصيّات العائلة.

إذن، فالمعنى الحرفيّ للقول، هو التّقرير عن الحالة الاجتماعية للمتكلّم وأُختِهِ. أما المعنى التّضمينيّ الموّجه إلى المتلقّي، هو الإنذار والتّحذير في قالب التّهكُم عن التّدخل في شؤون وخصوصيّات العائلة.

القصديّة:

إنّ اللُّغة كألفاظ وجُمل، وسيلةٌ لِتوصيل الدِّلالة، وإيصالُ الدِّلالةِ بنوعَيها التّصريحي والتّضمينيّ هو لِأجل إتمام عمليّة التّواصل بين المخاطبين وبحسب التّفاعل الاندماجي بينهما، وتُحصَل هذه العمليّةُ مِن خلال التّركيز على قصديّة المُتكلّم في بَثّ ما يُريدُه وقُدرة المتلقي في معرفة نوايا المتكلّم، أي قصديّته (البستاني،٢٠١٢:٨٦). لقد تنوّعت مقاصد النّص بين القصد الصّريح والقصد الضّمني الّذي هو الأهمّ في النّص المذكور، وهو قصد المتكلّم بأن يُبيّن لمتلقيه أنَّ تلك الأسئلة لا يَسألها إلّا مَن يُريدُ الزّواجَ مِن أحد أفراد العائلة، ويريد أن يختلطَ معها عن طريق الزّواج، وهو الذي يَهمّه أن يعرف أصل العائلة وإمكانياتها الماديّة، وغيرها من التّفاصيل العائليّة. ولقد تعمّدَ المتكلّم أسلوبًا مباشرًا وصريحًا في بيان عدم رغبته في الزّواج، وما يتعلق بأخته فهي متزوّجة، أيّ ليس لديهم أحد ليتزوّج، وذلك لكي يَكُفّ الجّار عَن أسئلته المتعديّة حدود العائلة. كما يحاول (رجب) في إجابته أن يُفَهِمّ الجّار بأنك أتيتَ لزيارة طبيعيّة فقط، وأنّ صِلة التّقارب بيننا والعرف الاجتماعيّ لا يسمح لك أن تسأل عن بَعض الأمور الّتي لا يبوح بها المرءُ عادةً إلّا في مجالس الأقرباء أو الأشخاص الّذين يريدون أن يقتربوا عن طريق الزّواج. وعَبّر المتكلّم (رجب) عن مقصده الضّمني بأسلوب غير مباشر وإيحائي، كي يَفهمَ المتلقّي (الجّار) أنّ حوارَه غير مقبول ودون جدوى ولا يُسمَح له أن يستمر فيه. وقد كان هذا من أهم المقاصد التي يريد المتكلم أن يصلها إلى المتلقّي. فالكاتبُ بوصفه مِن مُثقّفي المجتمع الشرقي واشتغل في مناصب حكوميّة وفي مجال السّياسة والاقتصاد والنّفط وغيرها، كان عالماً بتقاليد مجتمعه وعارفاً بأدّق تفاصيل الحياة فيه، فلذلك جعل أدبه وسيلة مميزة وفعّالة للنهوض بالوعي وأداة لتغير العادات والظّواهر الاجتماعية السيّئة والمتخلِّفة، من ضمنها التّدَخُل في حياة الآخرين وانشغال النّاس بأمور لا يعنيه، كما هو حال الجّار الجّديد في روايتنا. إنَّ إبراز هذه الظّواهر الاجتماعيّة المرفوضة هو من المقاصد الّتي يريد الكاتب إيصالها إلى متلقّيه بصورة تضمينيّة بارعة.

فالقصديّة في الرّواية المعاصرة بشكل عام، كثيرًا ما تكون غير مباشرة وغير مصرّح بها، وبعيدة عن التقريريّة، وذلك عن طريق توظيف المجاز والإيحاء، لأنَّ القصديّة في الأعمال الأدبية " تتوسّل بشتّى ضروب المجاز، والاستعارات، والكنايات، وعليه فالقارئ لا يجد المعاني دائمًا في متناوله، بل عليه أن يتعب ويكد في إعمال الحدس، والفكر لبلوغ المعاني العميقة" (لحمداني،٢٠٠٣:١٠٥). فعلى القارئ أن يكون على دراية تامة بكلّ العناصر السّياقيّة، وأن يلجأ إلى بعض الاستدلالات والافتراضات والتّأويلات، وذلك مِن أجل الوصول إلى مقاصد النّص ومعالمه الغامضة.

ثانيّاً: خرق قاعدة الطّريقة Maxim of manner :

تطلبُ قاعدةُ الطّريقة مِن المتكلّمِ أن يكون واضحًا ومُنَّظمًا، ويتجنّب الغموض، ويخاطب النّاس على قدر عقولهم وتخصُصاتهم وخلفياتهم المعرفيّة (مزيد،٢٠١٠:٤٠). ومدار اختلاف هذه القاعدة عن القواعد السابقة من حيث كونها لا ترتبط بما قيل، بل بما يراد قوله، والطّريقة التي يجب أن يقال بها. الهدف من قاعدة الطّريقة تجنُّب الاضّطراب والملل والإيجاز المُخل في القول. فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسيّة التي يُعبّر عنها بـ(التزم الوضوح) وتتفرع إلى:

أ. لتحترز من الالتباس.

ب. لتحترز من الإجمال.

ت. لتتكلم بإيجاز.

ث. لترتّب كلامك.

إنَّ الهدف من هذه القاعدة وباقي القواعد الأخرى من مبدأ التعاون، هو ضبط مسار الحوار، بحيث يؤكد أن احترام هذه القواعد، هو السبيل الكفيل بجعلنا نبلغ مقاصدنا، والخروج عنها يؤدي إلى اختلال العمليّة الحواريّة (أدراوي،٢٠١١:١٠٠). وقد تُخرق قاعدة الطّريقة لغرض مُعيّن، كما آثر الكاتب خرق هذه القاعدة في قول (رجب) حين يَتخيَّل ما سَيقوله لِأُخته (أنيسة) عند عَودَتِهِ إلى الوطن: **(لقد عُدتُّ يا أنيسة، عُدتُّ وحدي، لا أريد مِن أحد أن يَدفع ثَمن حُريَّتي الزّائفة)** (منيف،٢٠٢٢:٢٣٢).

وكذلك خرقَ الكاتبُ قاعدة الطّريقة في رسالة (حامد) حين يقول: **(حامد لَم يَكتب لي شيئاً، سِوى كلِمة كبيرة في مُنتصَف صفحة بيضاء: كَتبَ: الكلمة آخر سِلاح يُمكن أن ألجأ إليه).**

ويُلاحظ أيَضًا خرق القاعدة في قول الكاتب على لسان (رجب): **(وعادل كتب رسالة قصيرة، قال فيها: إنَّه لم يَسمع بقائد انتصر بكلمة، السَّيف وحده هو الّذي يُحقِّق النَّصر. هكذا قال لهم مُعلِم التَّأريخ)** (منيف،٢٠٢٢: ٢٣٤– ٢٣٣).

التَّضمين الحِواري:

ما يدفعُ المتكلّم للإخلال بالوضوح أو خرق قاعدة (الطّريقة)، هو حين يُبلِغ المتلقي أمرًا ما، ويريدُ إخفاء ذلك الأمر عن أشخاص آخرين، تفاديًا للإحراج أو خوفًا على نفسه أو على متلقيه من أيّ أذى قد يلحقهما أو يلحق أحدهما. ففي قراءة النّصوص السّابقة هناك عبارات أو كلمات تُعدّ نُقطة التّحوّل من المعنى الظّاهري إلى المعنى التّضميني، مثل **(الحُريّة الزّائفة، ودفع الثّمن، الكلمة آخر سلاح، لم يسمع بقائد انتصر بكلمة، قال لهم مُعلِّم التَّأريخ)**. لقد استخدِمت في تلك العبارات استراتيجيّة التّلميح كي يُلمَح إلى ما يُراد معرفته، تاركًا للمتلقي فرصة تأويل الخطاب، فلذلك يستوجب على القارئ أن يعدل ذهنه من المعنى الظّاهري إلى المعنى التّضميني، لأنَّ الكلامَ يحمل معاني مُتضمّنة، وَوُضِعت تلك العبارات من أجل تبليغ المتلقّي المعاني المُتضمّنة وليس المعاني الصّريحة.

المعنى المُتضمّن:

لتحديد المعنى المُتضمِّن الّذي يريده المتكلّم بقوله في الكلام المذكور، لا بُدّ من أخذ العديد من السّياقات في الحُسبان. هل كان المُتكلّم (بطل الروايّة) رجع إلى وطنه بكامل حريّته؟ أم أجبره أمرٌ ما على عودته؟ وهل كانت عائلة المتكلّم تلحقها أيّة أذيّة أو صعوبة عند بقائه خارج الوطن؟ أم عودته تكون مُنقذا لأحد من أهله؟ إنَّ المتكلّم عَرضَ كلامه بطريقة غير واضحة حين استعماله لهذه الكلمات، لذا لابد من البحث عن الدّلالات المُتضمّنة. فالمتكلِّم هنا يسخر من الحريّة الّتي يدفع ثمنها أحد أفراد عائلته، ويرفض أن يبقى خارج السّجن ويتظاهر بأنه شخص حُرّ، لأن هذه الحُريَّة المدفوعة الثمن لا قِيمة لها ولا معنى لها، وعَدّها مُزيّفة.

ولوحظ في الجُمل المذكورة انتقال الملفوظ من دائرة الدِّلالة الحرفيّة إلى الدّلالة الاستنتاجيّة الذّهنيّة. فاستثمر الكاتبُ كفاءته التداوليّة عند إنتاج خطابه من خلال استعماله الاستراتيجيّة التّضمينيّة، وقال على لسان (حامد): (**الكلمة آخر سِلاح يُمكن أن ألجأ إليه)** يَتضمّن القول أنَّ هُناك أسلحة أُخرى قد يلجأ إليها، وهناك طرائق أخرى غير الكِتابة أو التّصريحات الكلاميّة قد يستخدمها في حَلّ النّزاع بينه وبين السُّلطة، هذا يتضمَّن أيضا أنّ هناك قضيّة تستحق استخدام جميع أنواع الأسلحة لحسمها ولحلّها، والكلام أو الكِتابة واحدة منها وهي آخرها، أيّ في الوقت الحالي يُفكّر في استخدام وسيلة أو سلاح أقوى من الكِتابة ضد السّلطة الاستبداديّة.

وجاءت رسالة (عادل) تأييدًا لرأي أبيه وتكملةً لرسالته، حيث يرى أنّ النّضال يجب أن يكون عن طريق القُوّة وليس عن طريق الكِتابة، وتتضمّن كلمات (عادل) المُتمثلة في **(السَّيف وحده هو الّذي يُحقِّق النَّصر. هكذا قال لهم مُعلِّم التَّأريخ)**

إنهم لا يُفكّرون في كِتابة الرّواية أو مقال ضدّ السّلطة، كما طلب منهم خالهم (رجب) أن يكتبوا له عنوانًا لروايةٍ أو يكتبوا جزءً منها، بل هُم يُفكّرون في استخدام السّلاح الّذي عَلَّمَهم مُعلّم التأريخ بأنَّه أقوى ويتحقق النّصر به، أي: الرصاص في الزّمن الحالي. وإنَّ الاعتقاد الذي تتضمنه عبارة (معلم التأريخ) بأنَّ قوة الرصاص والسلاح هي الأقوى وتحسم الصّراع، اعتقاد صحيح وصائب، لأنَّ (عادل) سمِعَه مِن مُعلّمه، وهو اعتقاد قديم لأنَّ المُعلّم هو مُعلّم التّأريخ، أي شخصٌ له دراية بالحروب والصّراعات الّتي جرت عَبر التّأريخ.

القصديّة:

أرادَ الكاتبُ (عبدالرحمن منيف) أن يُبلِّغ الجمهورَ مقاصدَه المستترة وراء النّصوص، لأنَّ أهم ما يُميّزُ القصديّة، هو الاستتار وراء النّصوص مما يحتاج إلى استعمال الفكر وقدح الذِّهن لِتبيانها واستقصائها (محمد،٢٠٢٢:١٤). وما يُستنتَج من المقاصد المُستترة للكاتب في النّصوص المذكورة عن طريق الدِّلالات التَّضمينيّة الّتي بَيَّنّاها سابقًا، هو أن يَصِلَ إلى المتلقّي ما يأتي:

أولاً: إنَّ سلوك السُلطة ومعاملَتِها السَّيئة لكتم الآراء الحُرّة ولقمع الأفكار المُختلفة لا ينجحْ، ولا يرصد هدفها. بل تُسبّب تلك المعاملة في تزايد هذه الآراء وانتشار مُعارضي السُلطة بصورة أوسَع، وتزرع في قلوب النّاس حقدًا وكراهيَّة أكثر تّجاه الأنظمة الحاكمة. كما زرعَت تلك المعاملةُ بُغضًا وكراهيّة في قلوب جميع أفراد عائلة (رجب) تّجاه السُلطة، حتّى الأطفال أصبحوا أعداءً لها، كما (عادل) أصبح مُناضلاً لفكرة خاله وأبيه، وأصبح يُفكّر باستخدام القُوّة والسّلاح ضدّ السُلطة، هذه إشارة وتلميح إلى أنَّ الأجيال القادمة سوف يُربُّون على عداوة السّلطة وكراهيتها ورفضها.

ثانيّاً: ما يُستنتَج من قصديّة الكاتب في خطابه، هو إنَّ الإنسان في شّرق المتوسط يُفضّل استخدام القوة على لغة الحوار في حلّ النّزاعات، أو يميل إلى تربيّة الأجيال على مفهوم القوّة والسّلاح لإنقاذ أفكارهم أو بلدهم بدلاً من اللّجوء إلى التّقدُّم العِلمي والفكري وتوعية النّاس نَحوَ الفضائل. كما عَلّم مُعلِّم التّأريخُ طُلابَه أنَّ السَّيف وحده هو الّذي يُحقِّق النَّصر ويحسم الأمور، وإنّه لم يَسمع بقائدٍ انتصر بكلمة.

الخاتمة والاستنتاجات:

لقد أمكن هذا البحث من تسجيل جُملة مِنَ المَلحوظات، يُمكن إيجازها فيما يأتي:

- يُعدُّ الوصول إلى المعنى المُتضمّن خطوة مُسبَقة من خطوات الوصول إلى القصديّة، وله دورٌ فعّال ومحوري لاستدراك القصديّة الّتي أُنتِج النّصُ من أجلها.
- خالَفَ (عبدالرحمن منيف) مبدأ التّعاون في كثير من حواراته في رواية شرق المتوسط، وانزاحت أغلب نصوصه عن المعاني الحرفية إلى معان تضمينيّة، التّعجُب والسّخريّة أهم تجلياتها.
- إنّ خرق الكاتب لأية قاعدة من مبدأ التّعاون، انتهاكٌ مقصود لإثراء خطابه بمعانٍ مُتعددة تكون ذات تأثير أكثر وأكبر، ومن أجل حِث المتلقي على ملاحظة المعاني المُتضمّنة ووصوله إلى القصديّة.
- مراعاة الكاتب لِقُدرة المتلقّي في الوصول إلى قصده، حيثُ راعى (عبدالرحمن منيف) ما يمتلك المُتلقّي من إمكانيات لغويّة وثقافيّة واستعدادات استدلاليّة وتأويليّة.
- لم تكن نظرة الكاتب لنظام الحُكم نظرة تفاؤليّة، بل كان مُتشائمًا يائسًا مِن الأنظمة العربية، ودعا إلى تَخلص الشعوب العربية من تلك الأنظمة بصورة تضمينيّة غير مُعلَنة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

١. أبو زيد، نصر حامد (٢٠١٤): **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–مغرب.

٢. أدراوي، العياشي (٢٠١١): **الاستلزام الحواري في التداول اللساني**، ط١، دار الأمان للطباعة والنشر، الرباط– مغرب.

٣. بازي، محمد (٢٠١٠): **التّأويلية العربية**، نحو نموذج تساندي في فهم النّصوص والخطابات، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان.

٤. البحيري، سعيد حسن (١٩٩٧): علم لُغة النَّص، المفاهيم والاتجاهات، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، الجيزة، مصر.

٥. البستاني، بشرى (٢٠١٢): **التداولية في البحث اللغوي والنقدي**، ط١، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن.

٦. روبول، آن، وموشلار، جاك (٢٠٠٣): **التداوليّة اليوم، علم جديد في التواصل**، ترجمة: سيف الدين دغفوس، المنظمة العربية للترجمة، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان.

٧. العبد، محمد (٢٠١٤): **النّص والخطاب والاتّصال**، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة –مصر.

٨. عبدالرحمن، طه (١٩٩٨): **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان.

٩. عتيق، عبدالعزيز (١٩٨٥): **علم البيان**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان.

١٠. علوش، سعيد (١٩٨٥): **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان.

١١. قلقيلة، عبده عبدالعزيز (١٩٩٢): **البلاغة الاصطلاحية**، ط٣، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة– مصر.

١٢. لحمداني، حامد (٢٠٠٣): **القراءة وتوليد الدلالة، تغييرُ عاداتِنا في قراءةِ النّص الأدبي**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– مغرب.

١٣. مزيد، بهاءالدين محمد (٢٠١٠): **تبسيط التداوليّة، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السيّاسي**، ط١، شمس للنشر والتّوزيع، القاهرة– مصر.

١٤. منيف، عبدالرحمن (٢٠٢٢): **شرق المتوسط**، ط٢٣، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت– لبنان.

١٥. نحلة، محمود أحمد(٢٠٠٢): **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية–مصر.

البحوث والدّوريات والرسائل:

١. خضير، باسم خيري (٢٠١٦): **الاستلزام الحواري في شعر أحمد مطر– مقاربة تداولية في خطاب الانسان والدولة**، المؤتمر العلمي الدولي التاسع، كلية التربية/ جامعة واسط، العراق، ص ص ١٥٧–١٨٠.

٢. درنوني، أسماء، ومرداسي، الجودي (٢٠٢١): **الاستلزام الحواري من المنظور الغرايسي_ أمثلة تطبيقية** ، مجلة الموروث، المجلد(٩) العدد(٢)، جامعة باتنة١، الجزائر، ص ص ٢٥٧–٢٦٦.

٣. عطيل، نبيلة (٢٠١٩): **آليات الاستلزام التّخاطبي في شعر أحمد مطر_ نماذج مختار**، رسالة الماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

٤. محمد، عبدالرحمن ربيع سيد (٢٠٢٢): **القصدية ودورها في تحقيق التماسك النّصي في سورة الضُّحى**، مجلة فيلولوجي، المجلد (٣٩)، العدد (٧٨)، قسم اللغة العربية، كلية دار علوم، القاهرة– مصر، ص ص ١١–٢٩.

٥. مرزوقي، وسام، وفضيلة، قوتال (٢٠١٩): **القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري**، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد (٨)، العدد(١)، ص ص١٦٩–١٨٩.